الخارطة السياسية الاسرائيلية؛ اذ يستطيع عدد الاصوات العربية ايصال ما لا يقل عن ١٢ عضواً الى الكنيست الاسرائيلي. وقد ظلت قوة الحزب الشيوعي الاسرائيلي، في ذروتها (انتخابات ١٩٨٤)، في حدود ٣٣ بالمئة في الوسط العربي.

٢ ـ لم يتمكن الحزب الشيوعي الاسرائيلي من اختراق المجتمع اليهودي في العمق، على الرغم من انه بدأ حزباً يهودياً منذ بداية الهجرة اليهودية الى فلسطين. ويعود سبب ذلك الى انه حزب يغرّد خارج السرب الصهيوني الذي شكلت ايديولوجيا الصهيونية دافعه الاساسي الى الهجرة الى فلسطين واقامة اسرائيل على أراضيها. ولذا، فهو يندرج، في الاوساط اليهودية، تحت ما يمكن تصنيفه، او تصنيف اليهود النشطين فيه، بـ «الخونة»، مع تحفظنا من التعبير. والمثال الواضح على ذلك هو نسبة الاصوات التي يحصل عليها الحزب في الوسط اليهودي. ففي الانتخابات الاخيرة ـ كما أسلفنا ـ حصل على خمسة آلاف صوت فقط. كما لم تثمر محاولاته ركوب موجة الصراع الاجتماعي ـ الطائفي نسبياً ـ الذي عبّرت عنه حركة الفهود السود في العام ١٩٧١ التي برزت في الاحياء الفقيرة؛ والتي عبّرت عن احتجاج اليهود الشرقيين على وضعهم الدوني في المجتمع الاسرائيلي. وفي حين استقطب الحزب الشيوعي احد زعمائها (شارلي بيطون)، استقطب أقصى اليمين (حيروت) قاعدتها، ويعلّل بيطون ذلك بقوله: «للحقيقة، عدم تأييد الشارع اليهودي بشكل أكثر وبأعداد غفيرة (للحزب الشيوعي الاسرائيلي) كما هو الأمر بالنسبة الى الاحزاب الصهيونية، هو بسبب وسائل الاعلام العبرية التي تعمل على طمس أي نشاط، او فعالية، للجبهة، سواء أكانت في الكنيست أو خارجها»[٤٠].

وقد حاول الحزب، جدياً، الخروج من قوقعة الحزب الى ساحة النشاط السياسي المفتوح، سواء في الوسط العربي أو اليهودي. ومنذ العام ١٩٧٧، بدأ يخوض الانتخابات تحت قائمة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (حداش)، لكن ذلك، أيضاً، لم يعزّز من أنصاره، سواء في هذا الجانب او ذاك.

وتعود الاسباب، في رأينا، الى ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي يمثّل حالة خارج دائرة الصراع الذي تفجّر على أرض فلسطين بين المشروعين، الصهيوني والفلسطيني. فهو لم يستطع، بحكم الايديولوجيا الشيوعية، ان يتواءم مع المشروع الصهيوني الاستعماري، أو، حسب تعبيرات الحزب نفسه، الشوفيني المرتبط بالاستعمار، ولم يستطع، في الوقت عينه، ان يكون، كلياً، في اطار المشروع الوطني الفلسطيني الذي ظل ينظر الى الحزب الشيوعي كاحدى الادوات اليهودية، حيث بدأ الحزب يهودياً. لكن الجانب الايجابي في تجربة الحزب الشيوعي الاسرائيلي، والذي كان من قبل حزباً شيوعياً فلسطينياً، انه يضمر في داخله مكوّنات وأسس التعايش اليهودي ـ الفلسطيني في دولة ديمقراطية فلسطينية. فعلى الرغم من الصراع بين المشروعين، الصهيوني والفلسطيني، تمكّن الشيوعيون، اليهود والعرب، من التعايش في اطار واحد، وان كان ذلك بصعوبة.

والملاحظة الاساسية التي يمكن تسجيلها على الحزب الشيوعي الفلسطيني، ثم الاسرائيلي، انه بدأ حزباً يهودياً، وتصارع مع ظاهرة التعريب قبل قيام اسرائيل. وبعد قيامها، ظل حزباً شيوعياً، من حيث الايديولوجيا والعلاقة مع الاتحاد السوفياتي، الّا انه يمثّل، عملياً، حالة عربية، سواء من حيث عدد أعضائه، او من حيث نظرة المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية اليه.

ويبدو انه مطلوب، الآن، تهويد الحزب، كما كان مطلوباً في الثلاثينات تعريبه. فكما كان في الثلاثينات مطلوباً منه ان «يتعرّب» ليمارس دوراً فعّالاً في وسط الاكثرية العربية، صار مطلوباً